الهستدروت وتزييف نضال الطبقة العاملة

محمد الجندي

ليس في نيتنا هجاء الهستدروت، فقد هجاها آخرون كثيرون، وربما بعض الهجاء تعتبره هي مديحاً. فالقول، مثلاً، إنها متحالفة مع الامبريالية وتساعد في تنفيذ مخططاتها المضادة للثورات، في افريقيا، واميركا اللاتينية خصوصاً، يمكن ان تراها مديحاً مع تسمية التحالف والامبريالية تحالفاً مع الغرب، او مع «العالم الحر»، ومع تصنيف ذلك في اطار خدمة المصالح «القومية» والاقتصادية للصهيونية الدولية ولاسرائيل.

الغاية، هنا، هي الكشف الموضوعي، عبر نموذج الهستدروت ـ التي ليست مقصودة بذاتها ـ عن آلية قيام البرجوازية بانشاء تشكيلات شبه عمالية، او شبه «ثورية»، ثم بتسخير هذه التشكيلات في مخططاتها المعادية للعمال.

هذه الآليـة هي تنفيذ متطور، ويتطور اكثر فاكثر، لفكرة المصرفي الاميركي جي غولد (١٨٣٦ ـ ١٨٩٢)، المضارب والمتلاعب الكبير في البورصة، وباني الخطوط الحديد، الخ. لقد قال انه يستطيع ان يستأجر نصف العمال، ليقتلوا النصف الآخر.

البورجوازية الدولية لاتقول ذلك، وانما تفعله، وبأساليب متقنة.

طبعاً، هذا الموضوع له جوانب عديدة، ويحتاج الى استطرادات طويلة؛ ولكن سنكتفي ببعض النقاط، التي نراها اساسية.

□ على الرغم من ان النضال البروليتاري في القرن التاسع عشر لم يحقق انتصارات حاسمة، فانه حقق مكتسبات اصلاحية عديدة، وجسد تنظيماً واسعاً، وزخماً كفاحياً، تنامى في القرن العشرين، وانجز خلاله انتصاراته التاريخية المعروفة.

لكن ربما كانت الامور أفضل بكثير، لو لم يحدث، حتى نهاية القرن التاسع عشر، خلل كبير في احزاب الديمقراطية ـ الاشتراكية (او الأصح: الديمقراطية ـ الاجتماعية)، وهي الاحزاب التي كانت، اجمالاً، تقود الطبقة العاملة.

نركز، هنا، على الخلل الموضوعي، لا الخلل النابع من اسباب ذاتية، مثل الانتهازية التي يمكن ان توجد في كل زمان ومكان.

والخلل المـوضوعي هو، في رأينا، عدم تبلور تصور واضح تماماً حتى ذلك الوقت حول

شؤون فلسطينية ، العدد ١٦٤ ـ ١٦٥، تشرين الثاني/كانون الاول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٦